الدكتور مصطفى بدر الدين

"عودة الى الحكمة"

نعلم جميعاً أن التطور العلمي في سباق مستمر مع الزمن، و إن حاولنا التوقف ثانية واحدة لأخذ حفنة من الأوكسجين لإلتقاط الأنفاس، يفوتنا قطار التكنولوجيا ويتركنا على قارعة رصيف هزيل نتصارع مع الجهل والفشل والندم...

اليوم وفي هذا الوقت بالذات حيث أنني أعيش لحظات الختام من عمل وقد صنف بالانساني، أرى بأن المرء لايمكن أن يتوقف عن التخزين العلمي اليومي بجعبته المهنية إن أراد أن يحافظ على مُثله وقناعاته وحسن الأداء في مهنته لكي تبقى الرسالة ، رسالة تضحية كشجرة وارفة بثمرة يستفيد منها من جرّب طعم ثمارها...

نعم، اليوم وفي كل يوم نستيقظ على دروس جديدة لنتعلمها في حياتنا و لن نتوقف ما دام العلم باق والأبحاث جارية و التطبيق يمارس... تطور علمي، معدات حديثة، تكنولوجيا، ولكن تبقى كلمة السر!! وهي الانسان... ونحن امام نوعين منه:

- الأول الانسان الطيب الخادم الأمين، صاحب الضمير وصاحب المعرفة.
- والثاني الانسان المطلوب أن نقدم له أفضل الخدمات. وهذا واجب...

والتجربة تقول وكيف تطورت المهنة في هذا الخضم العصري؟ وما هي الأمثولة التي جمعت في مسار أربعين سنة من ممارسة الطب ضمن هذه المعركة مابين الفكر الانساني و التطور التقني...وهنا لابد أن نلقي الضوء على الطبيب ومهنة الطب مع ما رافقهما من تطورات لتبقى الحكمة.

الطبيب ذو أهمية كبيرة لكثير من الناس في جميع أنحاء العالم، وهو الفارق بين الحياة والموت، ويمكن للتقنيات الطبية الحديثة جنباً إلى جنب مع رعاية الطبيب للمرضى، أن تمنح المصابين بالأمراض المزمنة الأمل في العيش لمدة أطول.

فالطبيب هو ذلك الشخص الذي لا تتوافر فيه فقط مقومات مهنة الطب البشري، بل إنّه قبل كل ذلك يقوم بعمل أكثر أهمية وهو عمل أخلاقيّ، إذ يغرس المعاني والعبارات الإنسانية والجميلة بين أفراد المجتمع، وهو في طبيعته إنسان في النهاية . وعلاقته مع المريض على مستوى رفيع من الأهمية. إنها تتسم بالثقة و الأمان اللذان هما أساسها، وهذه العلاقة تعد جزءاً من العلاج . لذلك التزام الطبيب في عمله يجب أن يقابله التزام المريض بواجبات أيضاً على قدر و أهمية كي نصل الى الهدف المنشود. بمعنى أوضح التزام الطبيب بإتقان عمله ومتابعة التطور الحاصل في ميدان اختصاصه والمحافظة على شرف المهنة و القسم ...بالمقابل واجبات المريض تعتمد على احترامه للطبيب والإفصاح عن المعلومات التي تتعلق بحالته الصحية بدقة، ويصرح عن الادوية التي يتناولها، ومن ثم التزام نصائح الطبيب والارشادات التي يقدمها له.

وهنا في هذه العجالة من التحقيق ، ومن خلال ممارستي لمهنة الطب خلال ما يقارب الاربعين سنة يمكنني أن استنتج ما يلي :

- أولاً: أهمية الطنيب

- الطبيب هو الشخص القادر غلى تشخيص أمراض البشر وعلاجها و التخفيف من أوجاع الناس وآلامهم.
- للطبيب دور بارز في نهضة المجتمع وتقدمه، وذلك من خلال اكتشافه للأمراض وحمايته لاساس المجتمع الذي هم البشر.

- يقوم الطبيب بغرس المعاني الانسانية الثمينة بين أفراد المجتمع من خلال تعميمه لمفهوم التكامل و التكاقل الاجتماعي، ومساعدة الآخرين، والتعب من أجل راحتهم، فيعطي المثل البناء في البذل في سبيل أبناء جلدته و مجتمعه.
- ما يقدمه الطبيب من علاجات ومقاومة للأمراض ينعكس على حياة الناس ويصبحون أكثر قدرة على مواصلة حياتهم والقيام بواجباتهم وأعمالهم بالصورة السليمة ، مما يعود بالفائدة على المجتمع و يساهم في عملية التنمية .

وهنا لا تتعجب أيها القارئ العزيز أن قلت لك أن الطبيب اليوم يفقد قيمته وانسانيه إن فقد الحكمة في التصويب ، أو لم يسارع بالإستجابة الدقيقة لشكوى ألم من سائل يسعى للشفاء، مع ابتسامة تطمئن القلب وكلمة تشفي العليل...

أيها القارئ العزبز

بين كل تلك البنية المحصنة والمسلحة بمعداتها الفعّالة، هناك "شخص واحد" وقد جمع المعلومات وبأسرع الأوقات، وبذهن وقّاد ومستفيد من محيطه الطبي التقني، ليخرج حكمته لتقود الشخص وتحضر العقار الناجع بأقل ضجة إعلامية أو مادية ليقدم ما لديه وليرفع الضيم عن حامله....

وما بين الاختصاصات ليس بإختصاص نافع إن لم يوجهه انسان قريب على مريضه أم بسكنه، إن كان بأخلاقه أو بعلمه، يعلم كيف يقرأ الماضي والحاضر مع المستقبل.

لم يبق سوى ذاك الطبيب وباعتراف الدول المتطورة، ذاك الانسان الانساني الذي هو صلة الوصل ما بين كل العصور، وفي أي عصر أو زمان عاش هذا الطبيب الذي سيحتاجه كل مجتمع متقدم أوروبي كان أو في أي بلد من العالم الثالث...

لأنه سيبقى الملاذ الأول والأخير ليس فقط للانسان بل أيضاً للعلم الذي يريد الجميع تطبيقه، ولكن دائماً يقع الجميع في أخطائه ومساوئه وعواقبه، حين ينسى المجتمع مكانة الطبيب وعواقبه.

وأخيراً وللفت النظر للطرق الحديثة في تطبيق الطب الصحيح ، لجأت الدول الى إقامة "مراكز التشخيص الاولي " في كل بلدة ودسكرة وحتى في أحياء المدن الكبيرة المشهورة في العالم ، وقد لجأت الى الاطباء الذين يقدمون الخدمات الطبية الاولية وخصوصاً التشخيص، وقد وضعت الدول أهم التقنيات المطلوبة لتسهل عمل الطبيب الذي عاش ويعيش في أهله وفي مجتمعه القريب، حتى أصبح هناك تنافس بين القطاع الخاص والعام في هذا التطبيق العملي لدرجة أن المرضى أصبحوا لا يأبهون للكلفة المطلوبة ، إذ أن الخدمات والفعالية و النوعية هي المطلوبة، مع طريقة الخدمة التي تجعل الطبيب يعوض عما فاته من فعالية يوم كان الاعتماد على آلة أو معدات ، وباتت المجتمعات تركز لكل أطيافها في الميدان الصحي على الرأي الذي يعتمد أن الحكمة هي مع رجل وامرأة " يدعى طبيبك".

الطب
والصحة